

ليتيم عائشة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين.

وبعد

أولا أشكر كل الذين اشرفوا على هذا الملتقى من بعيد أو قريب رغم أن المدة كانت بعيدة والنسيان كان طويلا ولكن لا عليه ،كما نشكر كذلك الأخوات المشرفات والسيد مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 على هذه المبادرة. في الحقيقة السيدة الزهراء لم تترك لي أي شيء أتحدث عنه ولهذا سأشد الرحال إلى ناحية أخرى وأنا لا أحمل معي محاضرة سألقيا حضرتها من الكتب والمجلات ولكن سأتكلم على بعض الوقائع الحقيقية والتي حدثت في ناحيتنا في الولاية الثانية وبالضبط في ولاية 20 أوت 1955.

الكلمة التي سأقولها، هي أن الاستعمار ظل ولازال يخطط لتميع المرأة باعتبارها حجر الزاوية الصلب وهي نواة المجتمع كما قلت هو خطط ولازال يخطط لتميع هذه المرأة في الماضي، وفي الحاضر وفي المستقبل، وبالفعل نجح بعض الشيء في تميع البعض ويا للأسف الشديد هاته النسوة أصبحن يتكلمن باسم المجاهدات، يجرين في الطرق والشوارع باسم حقوق المرأة وهن يقصدن عن طريق التخطيط الاستعماري ضرب المجتمع الجزائري أو المرأة المسلمة الجزائرية بصفة خاصة والمرأة المسلمة بصفة عامة وإبعادها عن المطالبة الحقيقية وهي البناء والتشييد والمحافظة على الأسرة.

راحت البعض منهن للمطالبة بحقوق المرأة ولست أدري إن كانت بين الرجل والمرأة حرب فإذا كانت حقوق المرأة مهضومة فهي كذلك بالنسبة للرجل وأنا أعتقد صحيح أن المرأة مظلومة، صحيح أن المرأة مهمشة، صحيح أنه ليس للمرأة حقوق، لكن هذا لا يستحق إقامة منظمات نسوية تؤمر من وراء البحر لتميع القضايا الحقيقية للمجتمع الجزائري وتظل تجري في الشوارع.

أتأسف لهاته النساء لأنهن استغلين أسماء بعض المجاهدات سواء عن قصد أو غير قصد .الآن سأحدث عن الشهادة .قلت أن الاستعمار خطط للمرأة قبل الثورة وبعد الثورة وحتى اليوم لأنها هي الأساس، سأروي لكم حكاية: ما بين 1850-1870 أثناء الموجة الاستعمارية كانت سيدة إسمها الألكس ،كانت هذه السيدة تجول في المدن والقرى وتأخذ تقارير إلى وزارة الحربية الفرنسية والساسة الفرنسيين وتطلب منهم فتح مدارس للبنات الجزائريات وتقول لهم إن المرأة الإفريقية كالمرأة الأوروبية لها تأثير كبير على الرجل، وبالتالي إذا ثقفن هؤلاء النسوة أي ثقفناهم

ثقافة أوروبية ولا نقصد بها ثقافة العلم بل الثقافة الغربية، الفكر الغربي فإننا نستطيع أن ننتصر على الجزائر بكل سهولة.

وكانت تحت ساستها على فتح مدرسة واحدة حتى تدخل 100 بنت فقط. وكان لها ذلك، إذ قبلت وزارة الدفاع أو الخارجية آنذاك وفتحت المدارس. وبعد خروج البنات في نهاية السنة كانت تعتقد بأن هاته البنات سيرتدين لباسا أوريا. إلا أنهم أتت لابسات لباسا تقليديا) الكوفية، المحرمة، الشاشية والقندورة (وكانت هذه صفقة كبيرة لهؤلاء الذين خططوا، وكان يقول الدوق دورو فيقو هو SAINT ARNAUD وبيجو كان هؤلاء من دعاة " الموت للعرب " وفتح مدرسة للبنات لا يقل مفعولها عن فيلق عسكري لاحتلال الجزائر أي السيطرة عليها.

وفي يوم من الأيام كانوا يتكلمون عن الجزائر في المجلس الشعبي، فقالوا: ما مصير هذا الشعب بجاهل يلقي به في البحر، أم يباد كما يباد الهنود الحمر؟! فجاءت السيدة الإفريقية "MADAME L'AFRIQUE" بديك، ونزعت له ريشه ورمته به أمام أعضاء المجلس، فبدأ الحاضرون في التساؤل فقالت لهم: طبعا أنتم تتساءلون عن دواعي إحضاري لهذا الديك، إنكم تفكرون في مصير الجزائريين، وأنا الآن أقول لكم دعوهم كهذا الديك وانزعوا له ريشه. ومنذ ذلك اليوم أدركوا أن للمرأة رأيا سديدا، ولهذا ركزوا عليها إلى يومنا هذا، ولن يكلوا ولن يملوا أبدا. الآن، أعود إلى الشهادات، فكما قلت سابقا أن هذه الشهادات عشتها في نهاية سنة 1957 وبداية 1958، حيث كانت الثورة في بدايتها وحتى التخطيطات الفرنسية في أوجها، قام ضباط الشؤون الأهلية بتجميعنا نحن النسوة فقط من دون الرجال، ثم جاء الخونة والمترجمون، ونادونا بواسطة المكبر، فوضعونا في ساحة كبيرة، وكنا عبارة عن فتيات، وأمهات من مختلف الأعمار، حتى أننا آنذاك لم نكن نعرف سن المراهقة هذا، بل إذا بلغت إحدانا سن العاشرة أو الثالثة عشر أصبحت امرأة ناضجة.

ولقد كان القبطان يتحدث إلينا بالفرنسية والحركي الخائن يترجم، فقال: هل تعلمن أيتها النسوة عن سبب جمعكن اليوم؟ إن القبطان يقول أنك أنتن النساء الجزائريات مهذبات وواعيات أحسن من الرجال، فأزواجكن ليس لهم عقول، ويقول: أمسكوا عنا أبناءكن وأزواجكن، ولا تتركنهم مع " الفلاقة"، لأنهم قطاع طرق، وسيغفرون بهم، كما يقول لكم القبطان أنه على الحدود التونسية الألغام مزروعة بكثرة وأبناؤكم يموتون هناك... هذه الكلمات مازالت ترن في أذني على الرغم من طول المدة... وأتساءل لماذا تأخر هذا الملتقى الأول الخاص بالمرأة إلى حد اليوم، خاصة وأن بعض المجاهدات قضين نحبهن والبعض الآخر ينتظر، والذاكرة لحقها النسيان، فلماذا انتظرنا 34 سنة كاملة لكي ننظم هذا الملتقى، لكن يبقى وأن هذه المبادرة حسنة وطيبة، لكنها

جاءت متأخرة .فمن خطط لهذا؟ حتى أن البعض بدأ يتبجح ويقول :كيف أن المرأة الجزائرية شاركت في الثورة؟

بالأمس فقط استوقفني شاب وقال لي :لماذا هذا المؤتمر؟ كيف شاركت المرأة في الثورة؟ فقلت له :إن المرأة شاركت بحملها السلاح ومعالجتها المرضى، وفي ميادين أخرى كثيرة فقال لي :لم أكن على علم بذلك .فدعوته لحضور فعاليات الملتقى .فاعتذر بحجة أن عمله يحول دون ذلك...

إن سبب كل هذا هو المدرسة الجزائرية التي خرجت لنا جيل " روبو " يقول " التاريخ في المزيبة" ، وأي أمة هاته التي تقول التاريخ في المزيبة، وأنا لا ألوم الشباب والأطفال .ففي يوم من الأيام أدرجنا سؤالا في أحد الامتحانات حول معركة وقعت في منطقة معينة بالجزائر، فكانت إجابة أحد التلاميذ كما يلي " :لقد وقعت هذه المعركة في ألمانيا، عند هتلر!"

إن هذا التلميذ صادق في ذلك، لأنه لا يعرف سوى ألمانيا ولا يسمع إلا بهتلر!! قلت إذن، يقول هذا المترجم عن القبطان إن فرنسا حنونة عليكم وإذا لم يرجع أزواجكم إلى الصواب، فسنعزلهم عنكم وتعطيكم فرنسا كل الإمكانيات أي أنهم أرادوا من وراء هذا عزل المرأة الجزائرية عن الثورة لذا أقول لكم اليوم وبكل صراحة ودون مبالغة، لو لم تشارك المرأة في الثورة لما نجحت هذه الأخيرة.

بعدها أكمل القبطان تدخله، أمسكنا بأيدي بعضنا ورحنا ننشد " :من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا" ... فكانت هذه إذن شجاعة منا كبيرة.

أروي لكم الآن واقعة حقيقية أخرى عن عجوز اسمها " غير "توفيت رحمها الله، كانت مسؤولة عن مركز الجيش، كانت تعطي الأوامر للجيش وتحب المجاهدين كثيرا، خاصة منهم واحد اسمه مطلاوي وهو من عزابة لشجاعته وإقدامه، وكان يقوم بدور المرشد في كل مرة يريد فيها المجاهدون النزول، وعند استشهاده بعدما وقع في كمين للعدو، نقل لنا هذا الأخير جثته وهو عار تماما .غضبت هذه العجوز غضبا شديدا وأقسمت يمينا بأن لا يدخل مركزها مجاهد آخر بعد الذي حدث، وقالت للمجاهدين الآخرين : هل أنتم رجال وهم ليسوا كذلك؟!وفي مرة أخرى جاءت مجموعة من المجاهدين إلى المركز من الولاية السادسة أو الرابعة، لست أذكر، وكانت هذه المجموعة تريد الذهاب إلى تونس، فقبل لهم هذا مركز فلانة وقصوا عليهم القصة فقال لهم أحد المسؤولين إنها على حق، ولن يرتاح لنا بال إلا إذا أخذنا بثأرها .فذهبوا إلى المكان الذي يسلكه العدو، فاعترضوا طريق أربع شاحنات عسكرية على متنها جنود سنغاليون، فأحرقوها، وألقوا القبض على الجنود، وبقي جندي سنغالي رفض أن يضع السلاح، وارتمى على الشاحنة التي

كانت تحترق واحترق معها .فعاد ذلك المسؤول إلى العجوز، وقال لها " :هكذا نكون قد أخذنا ثأرك ولقد رويت لكم هذه الحادثة لأبين لكم أن المرأة كانت شجاعة جدا، وكانت تعطي الأوامر حتى للجنود من رجال جيش التحرير .وهناك اليوم من يجحف دورها ويقزمه.مع الأسف الشديد، فقد تصدرت الأحداث اليوم، صاحبات المصالح والمغرضات واللواتي لهن تاريخ أسود، وهذا على حساب المرأة الأصيلة .وأنا أحب كثيرا المرأة الجزائرية وأحترمها، خاصة المرأة المجاهدة ولقد شبهتها بالأرض التي تجري عليها أشرف المعارك وتذهب غاباتها وسهولها، لكن سرعان ما تعود المرأة الجزائرية بعدما تفقد أعز الناس، أولادها وزوجها، تعود بحرارة.

من جهة أخرى هناك أناس يقولون لنا هناك حرب بيننا وبين الرجل ...أنا لست في أية حرب مع الرجل.

كما أوجه هذا النداء خاصة إلى الشباب أصحاب المصالح والذين يريدون أن يظهروا لنا عن طريق المنظمات اليهودية المغرضة بأننا في حرب مع الرجال .ومع الأسف الشديد هؤلاء يريدون إهانة عن القضايا الحقيقية :عن التربية والتعليم، عن البناء والتشييد .وأصبحت المرأة الجزائرية تمشي نصف عارية في الشوارع منادية بتحطيم القيم التي حررت بها البلاد بالأمس . فآين هن المجاهدات؟ لماذا هن صامتات؟ لماذا تتركهن يستغلون اسمكن؟ لماذا؟

أعود مرة أخرى إلى القصة السابقة، قصة العجوز التي تحدثت عنها من قبل .هذه العجوز عندما يأتياها المجاهدون يجلسون هم عند الوادي يغتسلون ويصلون ويستريحون، أما هي فتأتي لهم بمعية ابنتها بالفطير واللبن، ثم يصعدون ليلا إلى المركز لكن سرعان ما وصلت العدو وشاية، فقص هذا الأخير المكان .وكانت هي عائدة من الوادي فصادفت شاحنات العدو آتية نحو مكان تواجد المجاهدين، فاختلط عليها الأمر واحتارت ماذا تفعل، وفي هذه اللحظة بالذات تركت الأكل عند ابنتها وطلبت منها الصعود إلى المركز وقالت لها :أنا ميتة في كل الأحوال . وراحت تجري في اتجاه المجاهدين وهي تصرخ وتقول " :أهربوا فإن العدو وراءكم ... " فسمعها المجاهدون وهرب كل منهم في اتجاه معين، وبقيت هي واقفة في ذلك المكان .وفي هذه اللحظة وجدت أمامها بقرة، وهي بقرتها فعلا، فراحت تضربها بالعصى وتجري .أي وكأن القدرة الإلهية تدخلت هنا لتتنقذ العجوز والمجاهدين معا.

سأروي لكم الآن قصة أخرى، واسمحوا لي إن أطلت عليكم .هذه القصة تتعلق بمجاهدة لا أذكر اسمها لأنها طلبت مني ذلك .لقد كانت في مركز مع زميلتها، وإذا بالحركة يكتشفونهما، لقد كنا هنا بالمكتب الثاني بمنطقة كنا نسميها سيدي ناصر، منزل الأبطال.

كما أن هناك نقطة أريد التطرق إليها أولا .أسمع حاليا السياسة والقادة الفرنسيين

يتكلمون عن الأعمال الرهيبة وعن اغتصاب النساء في اليوسنة والهرسك !!!يا عباد الله ألا تعرفون أن النساء الجزائريات اغتصبن بالجملة ومنهن البعض من رفضن الزواج حتى يومنا هذا، وهذه الفئة ما تزال صامته ولم يتكلم عنهن أحد، فلماذا لا نتحدث عن هذا؟؟ على فضائح الجيش الفرنسي في الجزائر؟!

كما رأينا بنات فضلن الموت على أن يفتضحن أمام آبائهن .وهناك بنات حملن وهن لا يتعدين 14 و 15سنة فالتحقن بالجبال عبر كامل التراب الوطني وخاصة في الشرق الجزائري، في عزابة مثلا حيث نزلت قوات الحلف الأطلسي عدة مرات، في جبل سيدي سليمان حيث وقعت معركة استشهد فيها محمد القالمي .فلماذا لا يتحدثون عن جرائم فرنسا، عن اغتصاب النساء الجزائريات بالجملة؟! إنهم يخافون من مس شعور فرنسا ويتكلم الفرنسيون بل ويتجرؤون عن الحديث عن الأعمال البربرية مع أنهم برابرة ...لقد أطلقوا جيشهم في الجزائر، فعاث فسادا في بناتنا وأخواتنا.

ولماذا لا يتحدثون عن أطفال الجزائر الأبرياء الذين لم تتجاوز أعمارهم العشر سنوات . فعلى الرغم من صغر سنهم، إلا أنهم قاموا بأعمال ثورية .فحملوا السلاح، وطاردهم الشرطة الفرنسية والجيش، وقتلوهم ...لماذا لا يتحدثون عن هؤلاء، لماذا؟!

قلت إذن أن هذه المجاهدة التي كانت في المركز مع زميلتها، واللتان عندما تم كشف أمرهما من طرف الحركي، أخدمتا النار وأخفتا كل ما كان بحوزتهما وهربتا .فواحدة اختفت داخل بركة من الماء وبقيت تنفس من تحت الماء بواسطة عود، والأخرى أصيبت برصاصة هي وابنها الذي كان مشدودا على كتفها .وعبر جنود فرنسا أمامها دون أن يتفطنوا لأمرها وهذا الشيء مذكور في القرآن، أي أن الله تعالى أعمى أبصارهم ولما خرجت من الماء هي وابنها كان الدم يسيل من أنفه فاعتقدت أنه مات، لكن صدقوني، إنه مازال على قيد الحياة إلى اليوم...لكن أصيب بمرض الكساح فشل نصف منه

-فماذا جرى لهذه المجاهدة بعد الاستقلال؟!

-لقد أصبحت تعمل في إحدى البلديات .وماذا تفعل به بنت الحركي؟! كانت تدفق لها الماء وتقول لها " :هيا امسحي" .

ابن الحركي أصبح مدير شركة هنا، ماذا يفعل؟! يطاء قدم ابن المجاهدة هذه ويقول له : وجه زوجتي أحسن منك ويعطيه ثلاث ماكنات ... ويجبره على حملها على الرغم من أنه يمشي على رجل واحدة فقط بسبب الإصابة .وكان بهذا يريد طرده، فغادر ابن المجاهدة الشركة بعد ذلك .هذه هي المجاهدة التي كانت تقوم بحمل حزمة من الذهب والأموال تحت ملابسها لتنتقلها

للمجاهدين بناحية الركنية.

في إحدى المرات وقعت بين أيدي "لومان" الذي كان على رأس جماعة من الحركي، وكعادتها دائما كانت تحمل شهادة ميلاد ابنة خالتها لأنها كانت في القائمة السوداء رفقة عائلتها. غير أن ذلك الحركي تعرف عليها لأنه من أقاربها. فقال: "لومان: هذه من الفلاقة وزوجها كذلك وكل أفراد عائلتها "فقام" لومان "هذا بتمزيق شهادة الميلاد وتركها بين أيدي حركي، ولا أستطيع أن أصف ما فعل بها الحركي، لكن أحدهم جاء لينقذها إنه وفي يوم سابق، قدمت له خدمة وهذا قبل الثورة، وقال له "هذه أختي، هذه أختي "فتعجب السيد" لومان "وسأله": كيف لها أن تكون هذه أختك وزوجها فلاقي؟! فقال هذا الحركي "بالفعل زوجها كان فلاقي لكن قضيت عليه "فقام" لومان "بإعطائها بقايا الشهادة الممزقة وأمرها بالانصراف، فنصحها ذلك الحركي بالإسراع بالهروب قبل أن يكشف أمرها فيقتلان معا. لكن أين تذهب وهي على تلك الحال؟ ثيابها ممزقة وجسدها مجروح، فانزوت تحت الشجرة وبقيت تحتها طول الليل والمطر ينزل فوقها بغزارة، فلما استيقظت وجدت نفسها في بركة ماء. هذا ما كانت تعانيه المجاهدات، وأمثالها كثيرات، والأمثلة عنهن كثيرة أيضا. كما كانت هناك أناشيد كثيرة عن الحرية منها:

يا أمي علاش تبكي علي ولدك مجاهد في الوطنية

وأنا شهيد" جبل الأوراس "و" جبل بوزقزة "و" جبل الأوراس الطيارة ما تعديش خلاص - "لماذا ماتت هذه الأناشيد وغيرها وغابت عن ذاكرتنا، أليست الثورة حدث تاريخي، أليست هذه ثروة تاريخية؟ أنا شخصا نسيتهما فهل هذا مخطط بقدره قادر؟! أظن أن هذا صحيح، لقد أرادوا مسح ذاكرة هذا الشعب ويقطعونها تماما، وأن نصبح كالغراب الذي نزل إلى الساحة وبدأ يدور لا يعرف أي طريق يسلك، وكذلك شبابنا اليوم، لقد صار ضد الثورة، وأصبحت أنا أتمنى لو أدخل يوميا في معركة مع الشباب، لأنني، وهذا من حظي الأسود، أستاذة التاريخ، فهم يقولون لي بأن ديغول هو الذي منحنا الاستقلال، فأنكر، فيطلبون توضيحات، فحين أقدمها لهم أخرج عن البرنامج، ويأتي المفتش ويقدم لي توبيخا!...؟

وشكرا لكم جميعا